

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
أَحَدُ أَشْرَافِ الْأَوْسِ وَشِعْرُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

دكتور

عمر الفاروق عبد رب الرسول
مدرس بكلية الآداب بـجامعة الزقازيق

أُحَيِّحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ أحد أشراف الأوسِ وشعرائهم في الجاهلية

حفلت الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام، بكم وفير من الشعراء. منهم من أسعده الحظ ، فأبقت الأيام على شعره، وترددت أخباره - على حال من الوفرة أو القلة - فيما وصل إلينا من كتب القدماء ومصنفاتهم في مختلف فنون العربية.

وهناك من غابت عوادي الزمن ديوانه، وتناثرت أشعاره هنا وهناك في تضاعيف مصنفات القدماء من علماء العربية. يعتمد عليها أصحاب هذه المؤلفات في التدليل على ما يذهبون إليه من آراء أو أقوال.

من هذه الطائفة الأخيرة، شاعرنا هذا الذي نعرض له في هذه السطور - أُحَيِّحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ جَحْجَبَةَ بْنِ كُلفَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ عمرو بْنِ عَوْفِ بْنِ مالك بْنِ الأوسِ: ^(١)

وأحيحة تصغر الأحاح، وهو ما يجده الإنسان في صدره من حرارة الغيظ أو العطش ^(٢).

والجُلَاح كما فسرهُ ابن دريد في الاشتقاق ^(٣) - هو انحسار مقدم الوجه من الشعر.

أما الحَرِيش ^(٤) - فهو من قولهم حَرَشْتُ الضَّبَّ - أى أخذت في اخراجه من جحره.

وأما جَحْجَبَةً ^(٥) فهو من التردد في الشئ والمجئ والذهاب.

ويكنى أحيحة (أبا عمرو) - وعمرو هذا هو ولده من سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية من الخزرج. وله منها ولد آخر هو معبد. وهما أخوان لعبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف لأمه.

وقد أجمعت المصادر ^(٦) - على أن هاشماً قد خلف أحيحة عليها. بينما ذهب أبو عمرو - في

أسد الغابة^(٧) - إلى أنها كانت تحت هاشم بن عبدمناف ثم خلفه عليها أحيحة، ولم يقل بهذا غيره.

وثمة إشارات تقوى هذا الإجماع، منها عبارة ابن حبيب في (محبته) عند حديثه عن المنجبات من النساء، حيث عد فيهن سلمى هذه قال: «وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد النجارية، ولدت عبدالمطلب سيد مضر في زمانه فأنجبت، ولها من أحيحة بن الجلاح بن الحرش بن جحجبا الأوسى - عمرو ومعبد - فكانت نجابتها بعبدالمطلب دون أخويه، ولو كان عبدالمطلب مثلها لم تعد منجبة»^(٨).

وعبارة ابن حبيب هذه، تفيد أن عبدالمطلب كان ثالث الإخوة، وأن هاشم بن عبدمناف قد خلف أحيحة على زوجه سلمى.

والإشارة الثانية تقع عليها في الأغاني - فقد جاء في خبر أحيحة وزوجه سلمى: «له منها عمرو بن أحيحة، وهى أم عبدالمطلب بن هاشم خلف عليها هاشم بعد أحيحة»^(٩).

وقال صاحب أنساب الأشراف في خبر هاشم بن عبدمناف وزواجه من سلمى: «وكانت قبل عند أحيحة بن الجلاح، فمات عنها، وقد ولدت ولدين هلكا وهما عمرو ومعبد ابنا أحيحة»^(١٠).

والعبارتان تنصان في صراحة، على أن هاشم قد خلف أحيحة على زوجه سلمى.

وتقفنا عبارة البلاذرى السالفة - على أن وَلَدَىْ أحيحة من سلمى قد هلكا.

وإذا صح هذا، فما مقدار ما يتردد في بعض المصادر^(١١) عن ابنه عمرو وروايته الحديث عن خزيمه بن ثابت من الصحة والصواب؟ هل امتد العمر بعمره هذا فأدرك خزيمه وروى عنه؟!

من القدماء من يرى استحالة هذا، يقول ابن عبدالبز: «من المحال أن يروى عن خزيمه ابن ثابت من كان في هذه السن، وعساه أن يكون حفيدا لعمره بن أحيحة يسمى عمرا فنسب إلى جده. وإلا فما ذكر ابن أبى هاتم لاشك فيه»^(١٢).

ويذهب ابن حجر هذا المذهب في الإصابة، ويعقب على قول ابن عبدالبز هذا قائلا:

«ويحتمل ألا يكون بينه وبين أحيحة بن الجلاح الذى تزوج سلمى نسب، بل وافق اسمه واسم أبيه اسمه واشتركا فى التسمية بعمر، ولت شعري ما المانع من ذلك مع كثرة ما وقع منه»^(١٣). ويبدو أن ما ذهب اليه ابن عبد البر وابن حجر هو الأقرب إلى الصواب.

فمعاصرة أحيحة بن الجلاح لتبع الأصغر أبى كرب بن حسان - ملك اليمن، توحى بقدمه، وأنه كان قبل الإسلام بزمان

ثم إن اخوة ابنه عمرو لعبدالمطلب بن هاشم تؤيد استحالة روايته عن خزيمه.

هذا، ومن عقب أحيحة من أدرك الإسلام وأبلى فى سبيله

قال ابن حزم: «من ولده المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بدرى قتل يوم بئر معونة، ومنهم عبدالرحمن بن أبى ليلى، بلال ابن بُلْبُل بن أحيحة بن الجلاح - تابعى»^(١٤).

وقد ذكر ابن حبيب محمد بن عقبة هذا فيمن سماوا بمحمد فى الجاهلية^(١٥). ولم يدرك محمد بن عقبة الإسلام ومات فى الجاهلية، وأسلم ولده المنذر بن محمد.

وأحيحة سيد قومه - بنى جحجا - من الأوس فى الجاهلية، وشريف من أشراف يثرب فى ذلك الوقت، بل هو فى قول ابن الأثير: «أشرف الأنصار فى زمانه»^(١٦).

مدحه خالد بن جعفر - أحد بنى عامر - فقال: ^(١٧)

- ١ - إذا ما أُرِدَّتْ العِزُّ فى آلٍ يثربِ فَنَادِ بِصَوْتٍ يا أُحِيحَةَ تُنْعِرُ
- ٢ - رأينا أبا عمرو أُحِيحَةَ جاره يَبِيتُ قَرِيرَ العَيْنِ غَيْرَ مُرَوِّعِ
- ٣ - وَمَنْ يَأْتِهِ من خَائِفٍ يَنْسَ خَوْفَهُ وَمَنْ يَأْتِهِ من جَائِعٍ البَطْنِ يَشْبَعِ
- ٤ - فَضَائِلُ كانت للجُلّاحِ قَدِيمَةً وأَكْرَمُ بِفَخْرٍ من خِصَالِكِ الأَرْبَعِ

وأبيات خالد هذه، تقفنا على ما كان لأحيحة من شرف مكانة، وما يتسم به من خلال تتسق وتلك المكانة.

ولشرفه هذا، ورئاسته لقومه، كان من المُقَدَّمين المسئولين، وفى الأغاني^(١٨) أن تبع بن حسان (ملك اليمن) - وقد بلغه نبأ مقتل ابنه غيلة فى المدينة، وقد أرسل إلى أشرافها ليأتوه،

فكان فيهم أحيحة. وحين سعى أشراف المدينة لإقرار السلام وحقق الدماء في حرب داحس والغبراء، ضم وفدهم في سفارتهم هذه أحيحة. يقول ابن الأثير: «ثم إن الأنصار لما بلغهم ما عزموا عليه، فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الإطناية ومالك بن عجلان وأحيحة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وغيرهم وساروا ليصلحوا بينهم»^(١٩).

وإلى جانب هذه السيادة، فقد عرف أيضا بالثراء ووفرة أمواله، وقد تمثلت ثروته فيما كان يملكه من نخل وبساتين، فقد «كان له بالجُرْفِ صَوْرٌ من نخل قلَّ يوم يمرُّ به إلاَّ يَطْلُع فيه»^(٢٠).

ويروى أنه كان له تسع وتسعون بئرا كلها ينضح عليها^(٢١)، ويبلغ بها صاحب العقد الفريد^(٢٢) ثلثائة ناضح في أرضه المعروفة بالزوراء.

ولقد كان أحيحة «صَنَعاً لِلْمَالِ»^(٢٣) حريصا على انماء ثروته بالعناية بأرضه ونخيله، الذي أقبل على شراء المزيد منه، الأمر الذي لفت نظر قومه فكان لومهم الذي يحدثنا عنه في قوله:

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِرَاءِ النَّخِيلِ — قَوْمِي وَكُلُّهُمْ أَلُومٌ^(٢٤)

وأحيحة، وقد اختط لنفسه نهجه الخاص في العمل، وتخير طريقته لكسب الرزق، لا يكثر بهذا اللوم ويدفعه، فلكل نظره الخاصة: يقول أحيحة في رجز له: ^(٢٥)

وَأِنَّمَا النَّخْلُ مِنَ الْفَسِيلِ
كَذَلِكَ الْقَوْمُ مِنَ الْأَمِيلِ

فإذا كانت الإبل أصل رأس المال لدى من اتخذ الرعى حرفته، فإن هذا شأن النخيل لدى أحيحة.

ثم إن الأمر يتعدى حد المكسب المادى في نظر أحيحة إلى ما يمكن أن نستخلصه من قوله: ^(٢٦)

هُى الظِّلُّ فِي الْحَرِّ حَقُّ الظِّ لَيْلٍ وَالْمَنْظَرُ الْأَحْسَنُ الْأَجْمَلُ
تَعَشَّى أَسَافِلَهَا بِالْجَبُوبِ وَتَأْتَى حُلُوبُهَا مِنْ عُلَى

وَتُضَيِّحُ حَيْثُ يَبِيتُ الرَّعَاءُ وَإِنْ ضَيَّعُوهَا وَإِنْ أَهْمَلُوا
وَلَا يُضَيِّحُونَ يَبْقَوْنَهَا خَلَالَ الْمَلَا كُلُّهُمْ يَسْأَلُ

فإلى جانب ما يحققه النخيل من كسب، فثمة أمور أخرى يجدر أن توضع في الاعتبار، هي ما ضمنه أحيحة صدر أبياته هذه.

فهى الظل الظليل عند الحرور، ومن في مثل هذه البيئة لا يعرف للظل أثره وقدره؟ ثم إنها - فوق هذا - متعة للعين وبهجة. والنخيل ليس في حاجة الى عظيم عناية أو كثير جهد سواء في إطعامه أو رعايته، فهو يتكفل بغذائه، ثم إنه لا حاجة به إلى حفظه أو رعاة، فهو باق في مكانه دوما، لا سبيل له الى انتشار السائمة وما يحمله هذا رعاتها من عناء البحث ومشقة الطلب. وكأنى بأحيحة أحد طائفة «رجال الأعمال» - إن صح هذا التعبير - الذين يدرسون ما يقدمون عليه من أعمال، ويتخيرون أيسرها كلفة وأوفرها ربحا.

ثم أليس في هذا أبلغ الرد على من لامة؟! بلى بل ربما اقتنع بما عرض أحيحة من وجهة نظر.

ومتى كان للنخيل في رأى أحيحة مثل هذا القدر من المزايا، فله إذن أن يستزيد منه وأن يتولاه بالعناية. لنستمع إلى قوله: (٢٧).

- ١ - تَأْبَرِي يَا خَيْرَةَ الْفَسِيلِ
- ٢ - تَأْبَرِي مِنْ حَنْدٍ فَشُولِي
- ٣ - إِذْ ضَنَّ أَهْلُ النَّخْلِ بِالْفُحُولِ
- ٤ - تَرَوِّجِي اجْدِرْ أَنْ تَقِيلِي
- ٥ - غَدَاً بَجَنِّي بَارِدِ ظَلِيلِ

أرأيت إلى الأبيات! إنه حديث مرب لمن يتولاه بالرعاية، وقد فتن به. وكأنى به أم تناهى ابنها، وتأمل له الآمال، وتترقب تلك اللحظة، حيث يوتى أكله وقد غدا فتياً.

لقد أتاح أحيحة لفصيلته هذه مالم يحظ به غيرها من فرصة التأبير، والتعهد بالرعاية. ومن

ثم فهو يأمل نوحها واكتال التضج، ممينا نفسه بما سيناله منها في هذه الحال. ولا ريب في أنه ظافر ببغيته، وقد أحسن الرعاية وكفلها.

ويبدو أنه كان للمال في حياة أحيحة وسلوكه شأن أى شأن، وفي أخباره وأشعاره مصداق لذلك.

ففي أخباره أنه كان «صنعا للمال، شحيحا عليه، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم»^(٢٨).

ويروى أنه كان «إذا هبت الصبا طلع من أطمه، فنظر الى ناحية هبوبها، ثم يقول لها هبى هبوبك، فقد أعددت لك ثلثائة وستين صاعا من عجوة، ادفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا - أى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين»^(٢٩)

وما روى أنه كان يسير في بستان له مع صاحبه، فالتقط تمره فعاتبه صاحبه. فرد أحيحة قائلا: الثمرة إلى الثمرة تمر^(٣٠).

ومتى أخذنا بهذه الأخبار فلا مناص لنا من أن نرمي الرجل بالبخل والشح. ولكن مهلا. فماذا عن شعره؟

لا شك أن لحديث المال في شعره نصيب، استمع اليه يقول: ^(٣١)

- | | |
|----------------------------------------------------------|--------------------------------------------------|
| ١ - اسْتَغْنِ أَوْ مُتْ وَلَا يَغُرُّكَ ذُو نَسَبٍ | من ابنِ عَمٍّ وَلَا عَمٍّ وَلَا خَالٍ |
| ٢ - يُلَوُّونَ مَا لَمْ يَلَوْهُ عَنْ حَقِّ أَقْرَبِهِمْ | وعن عَشِيرَتِهِمْ وَالْحَقُّ لِلْوَالِي |
| ٣ - فَاجْمَعْ وَلَا تَحْقُرَنَّ شَيْئاً تَجْمَعُهُ | وَلَا تُضَيِّعْنَهُ يَوْمًا عَلَى حَالٍ |
| ٤ - إِنِّي أُفِيمُ عَلَى الزُّورَاءِ أَغْمُرُهَا | إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْإِخْوَانِ ذُو الْمَالِ |
| ٥ - كُلُّ النَّدَاءِ إِذَا نَادَيْتَ يَخْذُلْنِي | إِلَّا نِدَائِي إِذَا نَادَيْتُ يَأْمَالِي |
| ٦ - وَإِنْ أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدَ بِي | عَمَّا يُنَوِّهِ بِاسْمِي رِقَّةُ الْحَالِ |

والأبيات، حديث عن المال وأثره ودعوة إلى جمعه وحفظه والاستغناء به عن أقرب الأقرباء.

أنها دعوة إلى انفاقه برشد فيما يجب، وترك الإسراف أو الفساد فالمال - وإن كثر - لا يبقى مع الإسراف أو الفساد.

ويأخذ أحيحة نفسه بما نادى به، فإذا هومكب على أرضه الزوراء يعمرها ليحقق الكفاية التى دعا إليها ويعقب ببيان أثر المال فى رفع شأن صاحب، وكيف أنه خير عون عند الحاجة، وأنه سبيله الى المساماة والمفاخرة.

نحن هنا إزاء نظرة مادية ، وإدراك واع لقيمة المال وأثره فى الحياة .

وأغلب الظن أن هذه النظرة لم تنشأ من فراغ، وربما كان فيما مر به أحيحة من تجارب ما هياً لها ودفع إليها.

فأحيحة لم ينصب من نفسه داعية إلى الاستغناء عن ذوى القربى أو ينصح بهذا وغيره من جمع المال وعدم إضاعته، ما لم يكن قد لمس بنفسه مدى ثقل الحاجة إلى الآخرين وجدوى المال ونفعه عندما يعوزه، أو ربما عايش من قرب وأدرك ما ألم بغيره فى مثل هذه الحال.

ولم تُبغِد، ولنستمع إلى قوله: (٣٢)

أَطَعْتُ النَّفْسَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى أَصَارْتُنِي أَسِيفاً عَبْدَ عَبْدٍ
إِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَعْتُ عَذْقاً تُعَانِقُ أَوْ تُقَبِّلُ أَوْ تُقْدَى
فَمَنْ وَجَدَ الْغِنَى فَلْيُصْطَنِعْهُ ذَخِيرَتَهُ وَيَجْهَدْ كُلَّ جَهْدٍ
أَعْلَمُكُمْ وَقَدْ أَرَدْتُ نَفْسِي فَمَنْ أَهْدَى سَبِيلَ الرُّشْدِ بَعْدِي

إنه يعلن فى صراحة ، ودون أدنى موارد، أن شهوات النفس والاستجابة لها دون تعقل أو روية، قد أحواله الى ما صار اليه من مكانة أشار إليها فى عجز بيته الأول. ومن يرتضى لنفسه مثل تلك المكانة؟! ومن ثم كانت تلك الدعوة الحرى، إلى غيره ممن وجد الغنى وأصابه أن يحرص عليه، ويجهد فى أن يحرص عليه، ويجهد فى ذلك كل الجهد.

إنها صرخة لديع، يربأ بغيره أن ينأى بنفسه، فلا يصيبه ما حل به هو. نعم، «وما ينبيك مثل مجرب».

وهى تكشف لنا - للنظرة الأولى - عن النظرة المادية التى تسيطر على نفس صاحبها وتلاً جوانبها.

ولكن إذا نظرنا إلى الأبيات نظرة متأنية فماذا نجد ؟

لقد صدر أحيحة أبياته هذه بالدعوة الى الاستغناء عن ذوى اليسار ومن الأقارب، وجعل هذا الاستغناء معادلاً للموت الكريم الأمر الذى يعكس الانطباع بمدى المرارة التى يحس بها نتيجة سؤال الآخرين وإن قربوا، ومدى الهوان الذى يلحقه به ذل السؤال أو العيش كلاً على ذوى القربى.

لم يدع أحيحة إلى قطع العلاقات بين ذوى القربى، أو أن يعيش الانسان لنفسه فقط، وإنما هم دعوته أن يحقق المرء لنفسه ما يكفيها، وألا يحتمل الآخرين تبعثها، وما هذا إلا لأنه أدرك أن النفوس وإن جمعت بينها صلة الرحم، ضئيلة بالمال بخيلة به، كل يرى أنه أحق بماله وأولى، وأن على غيره - وإن قرب - ممن يطلب شيئاً من هذا المال، أن يغنى نفسه عنه.

لم يجانب أحيحة فى دعوته هذه الواقع، أو يبعد عن الصواب، وكم تقطعت وشائج قرابة، ودب الخلف والخصام بين ذوى الأرحام من جراء المال.

فدعوة أحيحة هذه، قد صدرت إذن عن حكمة وفطنة وبعد نظر وبصر بواقع الحياة وطبائع النفوس.

ثم ترد دعوته إلى جمع المال وعدم إضاعته، نتيجة منطقية، ومحصلة طبيعية للدعوة الى الاستغناء، لأن عدم جمع المال، أو جمعه ثم إضاعته يعرضه للحاجة الى الآخرين، وهو أمر يفضل الموت فى نظر أحيحة.

قد يقال إن دعوة أحيحة هذه، دعوة صريحة إلى البخل والشح تكشف عن بخله، وهو وقد أخذ نفسه به، نراه يدعو الآخرين الى مجاراته.

والرد على ذلك هين يسير، فليس كل جمع للمال يؤدي بالضرورة الى البخل أو الشح. ثم إن الدعوة إلى عدم إضاعة المال لا تفسر حتماً بأنها دعوة الى الشح والامساك، فقد يفهم منها

إن هذه التجربة التي مر بها أحيحة - إذا صحت نسبة الأبيات إليه، إذ يتنازعها معه ابن الذئبة في بعض المصادر - أقول: لئن كان أحيحة صاحبها، وكانت تلك تجربته حقاً، فإن له من الأسباب ما يدعوه إلى أن يأخذ نفسه، بما ضمنه ثالث الأبيات من دعوة، وأن يدعو إليها غيره.

ولنستمع إليه أيضاً يقول في مطلع مذهبه: (٣٣)

صَحَوْتُ عَنِ الصَّبَا وَالدَّهْرِ غَوْلُ وَنَفْسُ الْمَرْءِ آوَنَةُ قَتُولُ
وَلَوْ أُنْشِئَ أَشَاءُ نَعِمْتُ حَالاً وَبَاكَرْنِي صُبُوحُ أَوْ نَشِيلُ
وَلَا عَيْنِي عَلَى الْأَنْمَاطِ لُغْسُ عَلَى أَفْوَهِنَ الزُّنَجِيلُ
وَلَكِنِّي جُعِلْتُ إِزَايَ مَالِي فَأَقْلِلُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ أُزِيلُ

في البدء، يطالعنا أحيحة بصرف نفسه عن متع الصبا وهواه. وما تدفعه نفسه إلى إجابته من مطالب وشهوات، ويبدو أن ذلك كان بعد أن تقدم به العمر ومن ثم كانت صحوته تلك عن الصبا. وقد طبع سلوكه في انفاق المال والتصرف به - حينئذ - شئ من الحرص والتعقل، فهو (يقلل) أو (ينيل) وفقاً لتقديره.

وإذا كان ما سبق أن عرضناه من أخبار أو أشعار يكاد يغلب عليه طابع الاقلال إن لم يكن الحرص. أفئمة شئ من بذل أو إنالة؟

ثمة إشارات في أخباره يمكن أن نستشف منها شيئاً من هذا، ولقد سلف قول خالد بن جعفر في مدحه وهو قوله:

وَمَنْ يَأْتِيهِ مِنْ خَائِفٍ يَنْسَ خَوْفَهُ وَمَنْ يَأْتِيهِ مِنْ جَائِعٍ الْبَطْنِ يَشْبَعُ

ولئن حمل هذا على أنه من قبيل المديح، وأن الشاعر قد يثبت لممدوحه ما ليس فيه من الصفات، فإن هناك إشارات آخر، منها ما ذكره ابن الأثير في خبر قدم مسعود بن معتب على أحيحة يبتغى الحلف، وكيف رده أحيحة دون أن يحقق مبتغاه، لاعتبارات رآها تختص بظروف قومه، ولكنه يزوده بسلاح وزاد ويمنحه غلاماً كان يبنى له الآطام (٣٤).

وثمة إشارة نقع عليها في الأغاني^(٣٥) في ثنايا ما رواه عما كان من أمر محاصرة رجال تبع حصن أحيحة وقتلهم له.

فقد تحصن أحيحة في أطمه، فحاصروه ثلاثة أيام، كان يقاتلهم بالنهار ويرميهم بالنبل والحجارة، ويرمى اليهم بالتمر ليلًا، فقال رجال تبع له: بعثنا إلى رجل يقاتلنا بالنهار، ويضيفنا بالليل. ويقول النهشلي في خبره: «وكان سيدا يصلح المال ويعم بمروته ويستعين بذلك على ما ينوبه من الحق»^(٣٦).

إذن فثمة عطاء ومروءة، ولو في نطاق ضيق، وليس لنا أن نزعم أن أحيحة كان جوادا معطاء، ذائع الشهرة أو الصيت في هذا.

غاية الأمر أنه كان يبذل دون سرف، وفي حدود ما يوجبه الحق عليه، على حد ما ورد في عبارة النهشلي السالفة الذكر.

وما بين أيدينا من أخبار أحيحة وأشعاره ، لا يكشف عما كانت تقسم به شخصية أحيحة من سہات وخصال.

بيد أنه يمكن تلمس شيء من هذه الخصال من خلال هذا النذر اليسير من الأخبار أو الأشعار.

من هذا ما أقسم به أحيحة من الفطنة وبعد النظر، حتى قيل «إن معه تابعا من الجن يعلمه الخبر، لكثرة صوابه، لأنه كان لا يظن شيئا فيخبر به قومه إلا كان كما يقول»^(٣٧).

ولقد مر بنا خبر تبع وأشراف المدينة وقد أرسل في طلبهم، فظن الأزياد أنه قد أرسل اليهم ليملكهم على أهل يشرب، أما أحيحة فلقد توجس من هذا الطلب، ورأى بفطنته وثاقب نظره، أنه لا خير يرجى من ورائه، وقال للأزياد: واللله ما دعاكم لخير. وتوقع لنفسه مثل هذا فقال: ^(٣٨)

لِيتَ حَظُّى مِنْ أَبِى كَرْبٍ أَنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهُ

ولقد صدقت فراسة أحيحة، فقد قتل تبع الأزياد، وفاته أحيحة وقد احتال لذلك بحيلة طريفة تكشف عن ذكاء.

ويبدو أنه كان لأحيحة شخصية قوية، من مقوماتها الثقة بالنفس والاعتداد. يقول في هذا^(٣٩)

ما إِنْ أَقُولُ لشيءٍ حِينَ أَفْعَلُهُ لَا اسْتَطِيعُ وَلَا يَنْبُو عَلَى حَالٍ
فهو واثق من أنه يطيق أن يفعل ما يشاء، وأنه ليس ثمة ما يمتنع عليه، أو يبعد عن
متناول يده في كل الأحوال.

ولئن كنا نحس في هذا شيئا من الغلو أو المبالغة، فإنه يمكن التجاوز عنه وقد ورد في
معرض الفخر ومقامه، ولا يعدو أن يكون فرط احساس من الشاعر بالقدرة والقوة في مثل هذه
الحال.

ومن سمات هذه الشخصية العزة والأنفة يقول: ^(٤٠)

إِنِّي وَالْمِشْعَرُ الْحَرَامُ وَمَا حَجَّتْ قَرِيشٌ لَهُ وَمَا نَحَرُوا
لَا أَخَذُ الْخَطَّةَ الدَّيْنَةَ مَا دَامَ يُرَى مِنْ تَضَارُعِ حَجَرٍ
هو أبى، يعرف لنفسه قدرها، ومن ثم فهو لا يرتضى الضيم والهوان.

شعر أحيحة

لا نعلم أن لأحيحة ديوانا مخطوطا، أو أن أحدا من القدماء ممن يهتمون بجمع أشعار
الشعراء، وصنعة الدواوين، قد صنع ديوان أحيحة، فليس ثمة إشارة في كتب القدماء إلى
هذا^(٤١).

ولقد حفظت لنا بعض مؤلفات القدامى من علماء العربية شيئا من أشعار أحيحة، وقد
تناثرت في تضاعيفها. واختلط بعضه بشعر غيره من الشعراء، وتنازعه معه آخرون.

فقد ورد البيت: ^(٤٢)

يَا بَنَى التُّخُومَ لَا تَظْلِمُوهَا إِنَّ ظُلْمَ التُّخُومِ ذُو عَقَالٍ

وقد نسب إلى أحيحة في: التنبيهات ٢٩٦ واللسان (عقل) ثم نسب في اللسان (تخم) إلى أحيحة وأبى قيس بن الأسلت، بينما نسبه ابن قتيبة في المعارف ٦٢ إلى أبى قيس صرمة بن أنس.

ونسب صاحب الدر المنثور ١٨٧/٢ هذا البيت :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مَقِيَّتًا (٤٣)
إلى أحيحة، بينما نسب في طبقات الشعراء ٢٨٩/١ إلى أبى قيس بن رفاعة وكذا كان صنيع اللسان (قوت) وقد نسب فيه أيضا إلى الزبير بن عبدالمطلب، وكذا نسبه الطبري في تفسيره ٢٨٤/٨.

وقد اضطربت نسبة الأبيات الآتية :

- ١ - إِذَا مَا جِئْتُهَا قَدْ بَعْتُ عِذْمًا تُعَانِقُ أَوْ تُقْبَلُ أَوْ تُقْدَى
- ٢ - أَهْنَتْ الْمَالَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى أَصَارْتَنِي أَسِيفًا عَبْدَ عَبْدٍ
- ٣ - فَمَنْ نَالَ الْغِنَى فَلْيَصْطَبِعْهُ صَنِيعَتَهُ وَيَجْهَدْ كُلَّ جَهْدٍ
- ٤ - أَعْلَمَكُمْ وَقَدْ أَرَدَيْتُ نَفْسِي فَمَنْ أَهْدَى سَبِيلَ الرُّشْدِ بَعْدِي

بين أحيحة وابن الذئبة، فقد وردت الأبيات في الأصمعيات ١٢٠ لأحيحة ونسبها النهشلي في الممتع ٣٥ دون الرابع له أيضا. أما الجاحظ فقد نسبها في البخلاء ١٨٤ باسقاطه الرابع لابن الذئبة، وقد نسب ثالثها مع آخر في حماسة البحترى ٣٤٤ لأبى قيس بن الأسلت. كما اضطربت نسبة الأبيات: (٤٤)

- ١ - إِذَا جُمَادَى مَنَعَتْ قَطْرَهَا زَانَ جَنَابِي عَطْنٌ مُغْضِفٌ
- ٢ - مُعْرُورٌ أَسْبَلَ جَبَّارُهُ أَسْوَدَ كَالْغَابَةِ مُغْدُوفٌ
- ٣ - يَزْخَرُ فِي أَقْطَارِهِ مُغْدِقٌ بِحَافَتَيْهِ الشَّوْعُ وَالْغَرِيفُ

بين شاعرنا وقيس بن أبى الأسلت، وقيس بن الخطيم.

وهناك هذا البيت :

لَيْتَ حَظِّي مِنْ أَبِي كَرِيبٍ أَنْ يَرُدَّ خَيْرُهُ خَبَلَهُ

فبينما ينسبه صاحب الأغاني لأحيحة، إذ ينسب في الروض الأنف ٢٦/١ لامرأة تدعى جميلة، إحدى نساء بنى سالم (٤٥)

وقد نسب البيت :

قد كُنْتُ أَغْنَى النَّاسِ شَخْصاً وَاحِداً سَكَنَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ
في الروض الأنف ٤٥/٢ لأحيحة أو لأبى محجن الثقفي.

ويروى البيت :

قد كنتُ أَحْسُبُنِي كَأَغْنَى وَاحِدٍ نَزَلَ الْمَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُومٍ
في اللسان (فوم) لأبى محجن الثقفي.

فهذه كلها أبيات يتنازعها أحيحة وغيره من الشعراء، وربما كانت هناك أخرى تداخلت في شعر غيره.

وقد يكون من اليسير الجزم أو القطع بنسبة هذه الأبيات إلى أحيحة أو نفيها عنه، متى ما توفر من أخباره ما يعين على هذا، ومن أشعاره ما يمكن من الوقوف على نسيجه الشعري. أما وقد قلت هذه وندرت تلك فما من سبيل إلى مثل هذا الجزم أو القطع.

أما مصادر شعر أحيحة، فقد تنوعت بين كتب الأدب واللغة والتاريخ والسير والبلدان، وغير هذا من أمهات المصادر وعيونها التي حفلت بها المكتبة العربية القديمة.

وثبت الكتب الآتي يبرز هذا التنوع، وقرين كل كتاب عدد ما أورده من أبيات لأحيحة.

الأغاني ٤٥ - تاريخ ابن الأثير ٢٤ - جمهرة أشعار العرب ٢٢ - اللسان ٢١ - التاج
١٨ - معجم البلدان ١٣ - حماسة البحتری ١١ - جمهرة اللغة ١١ - البيان والتبيين ٨ -
البخلاء ٨ - الأشباه والنظائر ٨ - خزانة الأدب ٧ - الأزمنة والأمكنة ٧ - الصحاح ٧ - مجمع
الأمثال ٥ - الأصمعيات ٤ - محاضرات الراغب ٤ - عيون الأخبار ٤ - العقد ٣ - الحيوان
٢ - سيرة ابن هشام ٢ - سيرة ابن كثير ٢ - الأساس ٢ - تزيين الأسواق ٢ - معجم ما
استعجم ١ - الاتباع ١.

ومن هذا نتبين أن هذه المصادر قد تفاوتت فيما أوردته من أبيات لأحيحة من حيث الكم. وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من أبيات أحيحة قد تردد في معظم هذه المصادر مكرور معاداً.

ويمكن القول في ضوء ما وقفنا عليه من شعر أحيحة، إنه في معظمه قطع لا تتجاوز أطولها ثمانية الأبيات، إلى جانب تلك الأبيات المفردة، التي يبدو أنها أجزاء من قصائد كاملة درست، فلم يتبق منها سوى تلك الأبيات، ونادراً ما تشير تلك المصادر التي تورده مثل هذه الأبيات - وقد أُفردت - إلى أنها من قصائد، على نحو صنيع أبي الفرج حين أورد قوله: (٤٦)

أَخْلَقَ الرَّبْعُ مِنْ سُعَادَ فَأَمْسَى رَيْعُهُ مُخْلِقاً كَدْرُسِ الْمَلَأَةِ
بَالِياً بَعْدَ حَاضِرِ ذِي أُنَيْسٍ مِنْ سُلَيْمَى إِذْ تَعْتَدِي كَالْمَهَاةِ

فقد عَقَبَ قائلا : وهي قصيدة طويلة.

ويقفنا هذا المطلع، على أن أحيحة كان أحد أفراد الرعيل الأول من الشعراء الذين أرسوا قواعد هذه المقدمات للقصيدة في تلك الفترة.

وليس ثمة قصائد كاملة، سوى تلك التي أدرجها صاحب جمهرة أشعار العرب ضمن مذهباته (٤٧)، وقد ورد معظم أبياتها مفرداً أو في قطع ثلاثة أبيات أو أربعة في كثير من المصادر.

ولم يبين صاحب الجمهرة المعيار أو المقياس الذي انتقى على أساس منه ما ضمنه جمهرته من قصائد مختارة، واختياره للقصيدة أحيحة هذه، وعدها في المذاهب مما يفصح عن مكانة أحيحة في الشعر ومنزلته بين غيره من شعراء هذه الطبقة، وقد قرن بهم.

وما بين أيدينا من شعر لأحيحة، لا يمكن من الوقوف على ما تناوله أحيحة من فنون الشعر وأغراضه، أو تبين طابع كل منها، فمعظم هذا الكم الشعري، أبيات مكرورة تعاودتها المصادر المختلفة كما سلفت الإشارة إلى ذلك. بيد أن هذا لا يحول دون تلمس ما يمكن الوقوف عليه من فنون من خلال هذا القدر من شعره.

١ - الرثاء :

حفظت لنا بعض المصادر شيئاً مما قاله أحيحة في هذا الفن، إذ أورد له ياقوت في معجم البلدان ٣٩١/١ (أيلة) أبياتاً له في رثاء ابنه يقول فيها: (٤٨)

- ١ - أَلَا إِنَّ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ تَهَلَّلُ جَزُوعُ صَبُورُ كُلِّ ذَلِكَ تَفْعَلُ
- ٢ - فَإِنْ تَعْتَرِينِي بِالنَّهَارِ كَابَةً فَلَيْلِي إِذَا مَا أُمْسَى أَمْرٌ وَأَطُولُ
- ٣ - فَمَا هِيَ رِزْيُ مِنْ دَنَائِيرِ أَيْلَةٍ بِأَيْدِي الْوُشَاةِ نَاصِعٌ يَتَأَكَّلُ
- ٤ - بِأَحْسَنَ مِنْهُ يَوْمَ أَصْبَحَ غَادِيًا وَنَفْسِي فِيهِ الْجَهَامُ الْمُعْجَلُ

والأبيات تكشف عن عاطفة حرة، ونفس ملتاعة، قد هدها الحزن لفقد عزيز غال، ومن ثم كان تهلل العين بالبكاء أبداً، وملازمة الحزن صباح مساء، ثم طول الليل الممض.

وينتقل الشاعر من الندب والبكاء إلى التآبين، مشيراً إلى ما كان يتحلى به ابنه من حسن يفوق هذا الضرب من دنائير أيلة.

وله في الأغاني ١٢/١٣ ثلاثة أبيات في رثاء الأزياد، وقد قتلهم تبع، تبدو فيها الحسرة واضحة والتفجع - يقول أحيحة: (٤٩)

- ١ - أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي أَيْ لَهْفٍ عَلَى أَهْلِ الْفَقَارَةِ أَيْ لَهْفٍ
- ٢ - مَضَوْا قَصْدَ السَّبِيلِ وَخَلْفُونِي إِلَى خَلْفٍ مِنَ الْأُبْرَامِ خَلْفٍ
- ٣ - سُدَى لَا يَكْتَفُونَ وَلَا أَرَاهُمْ يُطِيعُونَ امْرَأً إِنْ كَانَ يَكْفِي

وهو إذ يبكي سادة عظماء، ذوى منعة وعزة، يندب حاله بعدهم، وقد خلفوه فيمن لا غناء فيهم ولا فلاح من ذريتهم. ولا نتوقع هنا مثل حرارة العاطفة في الأبيات السابقة، فستان ما بين رثاء فلذة الكبد وغيره من الأصحاب، وحسبه بل حسبهم هذا البكاء.

ولأحيحة أبيات، يرثى فيها نفسه، عندما فطن إلى ما أزمع عليه تبع من قتله، قرضها وأمر قينته (مليكة) أن تغنيه بها، فغنته يومه وليلته - على حد ما يقول صاحب الأغاني - حتى نام حراسه.

ويبدو أن أحيحة قد أراد أن يوهمهم أنه استكان لما قدر له ليمضي الوقت، ويغفل الحراس، ومن ثم ينجو بنفسه. أو أنه قد استشعر حقا أنه لا مفر له، وأن نهايته باتت قريبة.

قال أحيحة: (٥٠)

- ١ - لَتَبْكِي قَيْنَةً وَمِزْهَرُهَا وَلَتَبْكِي قَهْوَةً وَشَارِبُهَا
- ٢ - وَلَتَبْكِي نَاقَةً إِذَا رُجِلَتْ وَغَابَ فِي سَرَدَحٍ مَنَاجِبُهَا
- ٣ - وَلَتَبْكِي عُصْبَةً إِذَا جُمِعَتْ لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ مَا عَوَاقِبُهَا

وقد راح أحيحة في هذه الأبيات، يعدد في لوحة وحسرة - على عادة من يشرفون على الموت من الشعراء - جملة من الأمور كان يؤديها حال حياته. وهو لا ينعي هذه الأمور التي لن تجد بعده من يقوم مقامه فحسب، بل هو أيضا يندب حظه الذي شاء له أن يحرم منها. ومن خلال هذا تبرز فداحة الخطب بفقده، وعظم المصيبة. الذي يتجاوز أثره الشاعر نفسه الى غيره من أهله ومن عاشروه.

الفخر والتهديد :

لأحيحة وقومه وقائع وأيام مع الخزرج وغيرهم وثمة إشارات يسيرة في المصادر الى بعض هذه الأيام.

ويذكر لنا ابن الأثير خبر ما دار بين أحيحة وقومه وبين بنى مازن ابن النجار من قتال، حيث قتل أحيحة أخاً لعاصم بن عمرو أحد بنى مازن - فطلبه عاصم ليثأر لأخيه، فاحتفى أحيحة بحصنه وبلغه طلب عاصم له فقال: (٥١)

- ١ - نُبِّئْتُ أَنَّكَ جِئْتَ تَسْـُـوْا رِى بَيْنَ دَارِي وَالْقُبَابَةِ
- ٢ - فَلَقَدْ وَجَدْتَ بَجَانِبِ الضَّحِيْا اِنْ شُبَّاناً مُّهَابَةً
- ٣ - فِتْيَانِ حَرْبٍ فِى الْحَدِيْا دِ وَشَامِرِينَ كَأَسَدٍ غَابَةِ
- ٤ - هُمْ نَكَبُوكَ عَنِ الطَّرِيْا قِ فَبِتَ تَرْكَبُ كُلَّ لَابَةِ
- ٥ - أَعْصِمَ لَا تَجْزَعُ فَإِنَّ اِلَ حَرْبَ لَيْسَتْ بِالذُّعَابَةِ

- ٦ - فَأَنَا الَّذِي صَبَّحْتُكُمْ بِالْقَوْمِ إِذْ دَخَلُوا الرَّجَابَ
٧ - وَقَتَلْتُ كَعْباً قَبْلَهَا وَعَلَوْتُ بِالسَّيْفِ الذُّوَابَ
٨ - أَقْسَمْتُ لَا أُعْطِيكَ فِي كَعْبٍ وَمَقْتَلِهِ سَيَابَهُ

والآيات كما نرى مزيج من الفخر القبلي والشخصي، فلقد أشاد أحيحة بفتيان قومه الذين اصطلم بهم عاصم بجانب حصن أحيحة الضحيان، وأشار إلى أنهم فتیان أعدوا للحرب! فهم دوماً في الحديد، على أتم أهبة واستعداد، وكأنهم أسود تتحفز للوثوب. ويذكر عاصم بأنهم هم الذين أرغموه على أن يتنكب عن الطريق السوى ويتجشم ركوب الحرار.

ويتمثل الفخر الذاتى في قيادته لهؤلاء الفتیان، يصبح بهم عاصم وقومه وكيف أمر بقتل كعب - أخى عاصم - قبل هذا فكان له ذلك.

ومن منطلق الثقة بالنفس، والاعتداد بالقوة يكون قسمه بألا يعطى دية هذا القتل، ولو كانت ثمرة واحدة.

ولئن كان الطابع القبلى يغلب على فخره في هذه الآيات، ويعلو صوته بعض الشئ فوق النعمة الشخصية التى عرض أحيحة من خلالها شيئاً من جوانب ذاته، فثمة آيات أخر، نقع فيها على تلك النعمة الشخصية وقد أخذت حظها من الفخر:

ولقد مر بنا حديثه عن قوته ومقدرته التى لا تحد في قوله:

مَا إِنْ أَقُولُ لشيءٍ حِينَ أَفْعَلُهُ لَا أَسْتَطِيعُ وَلَا يَنْبُو عَلَى حَالٍ

ويقول أحيحة في هذا المجال: (٥٢)

وَقَدْ عَلِمْتُ بَنُو عَمْرٍو بِأَنِّى مِنَ السَّرَوَاتِ أَعْدَلُ مَا يَمِيلُ

إنه سيد في قومه، ولقد أدرك هؤلاء من مواقفه في هذا المجال مدى ما عليه من قدرة تمكنه من تقويم ما أعوج، ووضع الأمور في نصابها، وعادتها إلى مجراها الصحيح.

ويقول في وضعه هذا ومكانته: (٥٣)

- ١ - لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا يُغْنِي مَقَامِي مِنْ الْفَتَيَانِ زُمَيْلُ كَسُولُ
- ٢ - يَرُومُ وَلَا يُقَلِّصُ مُشْمَعِلًا عَنْ الْعَوْرَاءِ مَضْجَعُهُ ثَقِيلُ
- ٣ - بَتُّوعٌ لِلْحَلِيلَةِ حَيْثُ كَانَتْ كَمَا يَعْتَادُ لِقَحْتَهُ الْفَصِيلُ

هذا هو أحيحة في مقامه هذا، الذى لا يغنى فيه أو يسد مسده من الفتيان من كان يتسم بتلك الخلال التى عددها أحيحة فى أبياته تلك من كسل وعجز وضعف وإقبال على الرذائل أو القبائح، وملازمة لزوج كانه فصيل لا يكاد يفارق أمه لحاجته اليها.

وأحيحة - وقد عدد هذا الخلال - فإنه يهدف إلى أن يثبت لنفسه نقيضها ويشيد به.

ويمتزج الفخر بالتهديد فى قوله: (٥٤)

- ١ - إِنْ تُرِذْ حَرْبِي تُثْلَقَ فَتَى غَيْرَ مَمْلُوكٍ وَلَا بَرَمَةٍ
- ٢ - فَسَمَا مَا غَيْرَ ذِي كَذِبٍ أَنْ تُبَيِّحَ الْخِذْنَ وَالْحُرْمَةَ

ومن بين صفات الفتوة التى فخر بها أحيحة، يعرض لاثنتين، يرى فيها خير غناء فى هذا المقام - هما الحرية التى تعنى الإباء والعزة، واليسار الذى يفيد الحول والطول.

وهو فى تهديده هذا غاضب ، لا يرمى ذمة أو حرمة، فغضبه جارف لا يحد.

وكذا يقدم لنا أحيحة، من خلال حديث فخره - الذى عرضنا له - مثالا لعربى هذه الفترة، والفضائل أو السمات التى يتخذ منها مجالا لهذا الفخر ومتنفسا له.

ويلحظ فى أسلوبه فى هذا الفن من المبالغة فى بعض المعانى قوله:

ما إن أقول لشيء حين أفعله لا أستطيع ولا ينبو على حال ولا شك أن مثل هذه المبالغة وليدة انفعال عميق، وعاطفة قوية يستوجبها مجال الفخر ويدعو اليها.

الوصف :

درج الشعراء الجاهليون على أن يتناولوا بالوصف بعض ما تقع عليه نواظرهم في بيئتهم هذه، من حيوان ووحش ومعالم طبيعة وما إلى ذلك مما حفلت به بيئتهم هذه.

ويبدو أن أحيحة لم يشذ عن هذه العادة - إن صحت التسمية - إذ تقع فيما تبقى لنا من أبياته على شيء من هذا اللون.

يقول في صفة حصن له: (٥٥)

- ١ - وقد أعددت للحدثان حصناً لو أن المرء تنفّعه العقولُ
- ٢ - طويل الرأس أبيض مُشمخراً يُلوح كأنه سيفٌ صقيلُ
- ٣ - جَلَاهُ القَيْنُ ثُمَّتْ لم يَشِينُهُ بناحيةٍ ولا فيه فلولُ
- ٤ - هنالك لا يُشاكلُنِي لَيْيَمٌ له حَسَبٌ أَلْفٌ ولا دَخِيلُ

ويكاد الفخر يغلب على هذه الأبيات، ويطبعها بطابعه، وأغلب الظن أنه الغرض من هذا الوصف.

فالذي يعنى أحيحة هنا، ما عليه هذا الحصن من طول أو ارتفاع يعكس ضخامته ويوحى بها، وهو دليل عزة ومنعة وشرف لا يتسامى إليه من هودون أحيحة في القدرة والمكانة. وتردد نغمة الفخر هذه، فيما يعرض له من حديث يتناول فيه جنانه وبساتينه بالوصف يقول:

إذا جُادَى مَنَعَتْ قَطْرُهَا زَانَ جَنَانِي عَطْنٌ مُغْضِفُ
فهذه جنانه، تزين بالنخيل، في الوقت الذي تخلو فيه مواضع غيره من الناس مما يزينها من عشب، وقد مُنِعَتْ المطر.

ويقول في صفة أرضه (الزوراء): (٥٦)

لها ثلاثُ بَنَارٍ في جَوَانِهَا في كُلِّهَا عُقْبٌ تُسْقَى بِإِقْبَالِ
فهو هنا يحدثنا المدل بثروته، عن سعة أرضه ووفرة مياهها وما تسقيه من إبل.

ولئن كان الوصف في هذه الأبيات، قد غلب عليه طابع الفخر فجاء مصبوغا بصبغته حتى إنه يمكن القول إن أحيدة لم يهدف إلى الوصف لذاته وإنما استهدف الفخر من خلاله. فهناك من الأبيات ما هو خلو من نعمة الفخر هذه. من ذلك قوله يصف فرسا: (٥٧)

تَذُرُّ العَنَاجِيجَ الجِيَادَ بِقَفَرَةٍ

مَرَّ الدَّمُوكِ بِمَحْصِدٍ وَرِجَامٍ
فالفرس سريع، يبرز غيره من جياذ الخيل، ويفوته. وهو في سرعته واندفاعه كذلك الحبل الذي يخضع به البئر، يجذبه في اندفاعه هذا ما ثبت فيه من حجر.

وقوله في صفة جبل! قد كساه التبت وصار كأنه عُرفٌ له، وغطت حافتيه ألوان الشجر:

مُعْرُورِفٌ أَسْبَلُ جَبَّارُهُ بِحَافَتَيْهِ الشَّوْعُ والغَرِيفُ

ومن أبيات الوصف هذه، يمكن القول إن موصوفاته في معظمها كانت من الأشياء ذات الصلة الوثيقة به، فقد وصف حصنه وأرضه وجنانه وفرسه، ومن ثم كانت مسحة الفخر هذه التي غلفت ما عرض فيه لهذه الموصوفات من أبيات.

وهو ربيب بيئته، ومن ثم جاءت صورته منتزعة منها، فاندفاع الفرس شبه باندفاع جبل البئر ثبت فيه الحجر، والحصن طويل ممتد ناصع البياض كأنه سيف صقيل جلته كف القين.

وقد جاء وصفه لهذه الموصوفات حسياً مادياً، يعتمد على دقة الملاحظة وصحة التشبيه وهذا هو الاتجاه نفسه الذي غلب تلقائياً على فن الوصف عند شعراء العرب الأقدمين وبخاصة في عصر الجاهلية» (٥٨).

الغزل :

للغزل من شعر أحيدة نصيب، بيد أنه ضئيل ، فليس ثمة إلا هذه الأبيات في قينته مليكة، فيقول فيها: (٥٩)

- ١ - يَشْتَأِقُ قَلْبِي إِلَى مُلْكَةٍ لَوْ أُمْسَتُ قَرِيباً مِّنْ يُطَالِبُهَا
- ٢ - مَا أَحْسَنَ الْجِدِّ مِنْ مُلْكَةٍ وَاللُّبَاتِ إِذْ رَأَتْهَا تَرَاهُهَا
- ٣ - يَا لَيْتَنِي لَيْلَةً إِذَا هَجَعَ النَّاسُ سُنَّ وَنَامَ الْكِلَابُ صَاحِبُهَا
- ٤ - فِي لَيْلَةٍ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ يَسْعَى عَلَيْنَا إِلَّا كَوَاكِبُهَا

والأبيات حديث فتنة واعجاب، تفيض بالشوق والرغبة التي تسرى خلال الأبيات، وتتأجج في البيتين الأخيرين منها. هو معجب بجيدها وموضع القلادة من صدرها، وما بين تديدها وترقيتها.

ويتملك الاعجاب نفسه، ويستحيل رغبة جارفة تسيطر عليه، فاذا به يتمنى أن يكون صاحبها في ليلة هادئة وخلوة تامة لا يعكر صفوها أحد من الناس أو شيء من نباح الكلاب .

هذا وليس بين أيدينا من شعر أحبحة في الغزل غير هذه الأبيات الأمر الذي يحول دون تلمس طابع هذا الفن لديه. وربما كانت له في هذا المجال أبيات آخر ضاعت فيما ضاع من شعره.

بيد أنه يمكن القول على إن الطابع الحسى قد غلب على أبياته هذه، فقد جاءت قصرا على مفاتيح الحبسية الجسدية والرغبة فيها في سهولة لفظ وقرب معنى.

نظرات في الحياة والناس :

ولأحبيحة بعض أبيات، نقع فيها على نظرات صادقة في الحياة والناس، تكشف عن فطنة وبعد نظر، وخبرة عميقة بالحياة ووفرة تجربة.

وقد تنوعت هذه النظرات ، فجالت في مناحى عدة.

من ذلك قوله: (٦٠)

- ١ - اسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغَنَى مَنُ اسْتَغْنَى عَنْ النَّاسِ
- ٢ - وَالْبَسْ عَدُوَّكَ فِي رِفْقٍ وَفِي دَعَا
- ٣ - وَلَا تُغْرِنَكَ أَضْغَانٌ مُّزْمَلَةٌ
- إِنَّ الْغَنَى مَنُ اسْتَغْنَى عَنْ النَّاسِ
- لَبَّاسُ ذِي إِرْبَةِ لِلدَّهْرِ لَبَّاسُ
- قَدْ يُرْكَبُ الدَّيْرُ الدَّامِي بِأَخْلَاسِ

وأحيحة، يبدو لنا من خلال الأبيات، خبيراً بالطبائع، بصيراً بما انطوت عليه النفوس البشرية، فقد سبر أغوارها ووقف على مكنونها. لمس أحيحة، ضيق النفوس - وإن جمعت بينها وشائج القربى - بمطالب الآخرين، أو تحمل مئونتهم، ومن ثم كان رأيه أن يستغنى الإنسان بنفسه عن غيره من الناس، وهذا هو الغنى في نظره.

وفي مجال العلاقات الإنسانية، يدرك أحيحة ما للرفق واللين في المعاملة من عظيم أثر، وقدرة على استئلال العداوة من النفوس وتجاوز ما تأصل في أعماقها من أحقاد دفينه وحزانات.

ومن مجال البيئة تكون تلك الصورة الطبيعية لتجاوز الأحقاد، فكم من دبرة حالت الأحلاس دون إيلاها. وكذا يمتاح أحيحة حكمته من تجاربه وواقعه.

ويسترسل أحيحة في نظراته هذه، ويتأمل بشاقب نظره حال الإنسان في هذه الحياة، وكيف حدث قدراته وإمكاناته. على هذا النحو الذي يكشف عنه قوله: (٦١)

- ١ - وما تَدْرِى وَإِنْ إِلْقَحْتَ شَوْلاً أَتَلْقَحُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ تَحِيلُ
- ٢ - وما تَدْرِى إِذَا أَتَّجْتَ سَقَباً لِعَرِّكَ أَمْ يَكُونُ لَكَ الْفَصِيلُ
- ٣ - وما تَدْرِى إِذَا أَجْمَعْتَ أَمراً بِأَيِّ الْأَرْضِ يُدْرِكُ الْمَقِيلُ

وأحيحة يعرض هنا لأمر، لا يشعر الإنسان إزاءها بالعجز فحسب بل إنه ليقرب به متى رجع إلى نفسه.

فهو حقاً لا يدري - أتلحق الناقة بعد نتاجها أم تحيل؟ وهو لا يدري أيضاً لمن يكون هذا النتاج؟ أيكون من نصيبه هو؟ أم ينتقل إلى غيره؟

ثم هو كذلك لا يدري متى خرج لبعض أمره بأي مكان يكون مقيله؟ وهكذا يتقلب أحيحة بالمرء بين أمور يحسها هو في نفسه أو في غيره ليضعه في النهاية إزاء تلك الحقيقة السافرة - وهي عجزه ليس فقط - عن إدراك ما ستكون عليه الأمور فيما بعد تلك اللحظة التي

يعيشها، بل عجزه أيضا عن التدخل في تشكيل أو تكوين تلك الصورة التي تكون عليها هذه الأمور.

وكأنى بأحيحة يشير الى أن هناك قوة ما متصرفه ، تفوق قدرتها طاقة الانسان وإمكاناته.

والغنى والفقر - في رأيه - يتعارضان المرء في حياته. قال: (٦٢)

وَمَا يَذَرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَلَا يَذَرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعْصِلُ

فليس لأحدهما دوام أو قرار، بل كل الى تحول وتبدل، فقد يفتنى الفقير، وقد يفتقر الغنى، بيد أن هذا أيضا يندرج ضمن ما يبعد عن دائرة امكان المرء أو قدراته

وللقوله - في هذه البيئة - أثرها وخطرها ، ينبه أحيحة الى ذلك فيرد قوله: (٦٣)

١ - وَالصَّمْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مَالِمَ يَكُنْ عَيُّْ يَشِينُهُ
٢ - وَالْقَوْلُ ذُو خَطْلٍ إِذَا مَالِمَ يَكُنْ لُبُّ يُعِينُهُ

مبينا فضيلة الصمت، مالم يكن نتيجة عى وحصر. داعيا إلى أن يزن المرء حديثه ويتدبره: لما للقول من خطر وشأن.

والموت كظاهرة تتردد على مر الأيام، وحقيقة إن لم يكن الانسان قد لمسها في نفسه بعد، فإنه لاشك قد لمسها فيمن حوله، ممن حل بهم الموت تحت سمعه وبصره.

عرض أحيحة لهذه الحقيقة في قوله: - (٦٤)

١ - وَمَا مِنْ إَخْوَةٍ كَثُرُوا وَطَابُوا بِنَاشِئَةٍ لِأَمْتِهِمْ الْهَبُولُ
٢ - سَتَشْكُلُ أَوْ يُفَارِقُهَا بَنُوها سَرِيعاً أَوْ يَهُمُّ بِهِمْ قَبِيلُ

فالموت أمر حتم، ونهاية لا بد منها، تنوعت سبله وتعددت أسبابه، لا يحول دونه ثراء أو منعة.

وعلى هذه الحقيقة يتكىء أحيحة فيرد قوله (٦٥):

- ١ - اشدُّ حَيَازَ يَمَكِّ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَمُوتُ
٢ - وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ

نتيجة منطقية لما وقف عليه من أمر هذه الحتمية. ومتى كان الموت أمرا محتوما، فليوطن الانسان نفسه عليه. وكثيرا ما كانت هذه الحتمية حافزا للشجاعة والاقدام.

وقد يتناسى الانسان هذه الحقيقة أحيانا، أو قد تخدعه الدنيا ومباهجها عنها، فيأمل الآمال ويرجو، وكأنه يحيا أبد الدهر، فإذا بالموت يبعثه ويحول دون ما أمل. يقول أحيحة: (٦٦)

وَالْمَرءُ قَدْ يَرْجُو الرَّجَاءَ مُعَيِّبًا وَالْمَوْتَ دُونَهُ

وكذا تتلون نظرات أحيحة، وتطوف في مجالات شتى. وهى فى واقعها خطرات فكرية بسيطة، تقع فى نطاق البهديات المقررة، التى لا تبعد عن تناول الفطرة.

هدت اليها الخبرة والبصر، وجاءت وليدة التجربة والمشاهدة الحسية، تبين عن عقل واع، وفهم دقيق، وبصر ثاقب، وحنكة ودربة.

وبعد .

فهذه هى الفنون الشعرية لدى أحيحة، التى أمكن الوقوف عليها من خلال ما بين أيدينا من شعر له.

ويلاحظ أن هذا الكم من شعره قد خلا من أبيات فى المديح، فلم نجد له بيتا فردا فى هذا المجال، وربما كان هناك شئ منه ضاع مع ما فقد من شعره.

«الهوامش»

- (١) جمهرة أنساب العرب ٣١٥ والاشتقاق ٤٤١ وجمهرة أشعار العرب ٥١٧ .
- (٢) الاشتقاق ٤٤١ وتهذيب الصحاح ١٦٩/١ (أح) .
- (٣) الاشتقاق ٤٤١ .
- (٤) المصدر السابق .
- (٥) نفس المصدر .
- (٦) المحبر ٤٥٦ والأغاني ١١٩/١٣ والمعارف ١٣٠ وأنساب الأشراف ٦٤/١ وشرح ديوان أبي تمام ٢٠٩/٢ والإصابة ٣٥/١ وسيرة ابن هشام ١٣٧/١ .
- (٧) أسد الغابة ٨٣/٤ .
- (٨) المحبر ٤٥٦ .
- (٩) الأغاني ١٢٤/١٣ .
- (١٠) أنساب الأشراف ٦٤/١ .
- (١١) الجرح والتعديل ترجمة رقم ١٢١٨ .
- (١٢) الاستيعاب ١٨٨٨ .
- (١٣) الإصابة ٣٥/١ .
- (١٤) جمهرة أنساب العرب ٣٣٥ والإصابة ٣٥/١ .
- (١٥) المحبر ١٣٠ .
- (١٦) الكامل ١٨٦/١ .
- (١٧) الفاضل ١٦٢ والأغاني ١٢٦/١٣ .
- (١٨) الأغاني ١٢٠/١٣ .
- (١٩) الكامل ٥٧٦/١ .
- (٢٠) الأغاني ١٢٤/١٣ والصور : جماعة النخل وانظر الخزانة ٢٥٨/٣ .
- (٢١) الأغاني ١٢٤/١٣ .
- (٢٢) العقد الفريد ٣٠/٣ .
- (٢٣) الأغاني ١٢٤/١٣ .
- (٢٤) ديوان أبي تمام ٣١٤/٢ والأزمنة والأمكنة ٣٣٥/٢ ومحاضرات الراغب ٥٨٧/٢ .
- (٢٥) جمهرة اللغة ٣٩/٣ - والفصيل : جمع فسيلة وهي الصغيرة من النخل والقرم : الفحل من الإبل . والأفيل : صغار الإبل .
- (٢٦) الأبيات في الأزمنة والأمكنة ٣٣٥/٢ - (١ ، ٢) في محاضرات الراغب ٥٨٧/٢ ، الأول في اللسان والتاج (ظل) والثاني في اللسان (عشي) والثالث في اللسان (رعى) - الجبوب : التراب .

- (٢٧) (١ - ٣) في اللسان والصحاح والتاج (محل) (وأبر) من التاج والصحاح و (حنذ) في الصحاح - (١ - ٢) في اللسان والتاج (شول) (٤ - ٥) في الايضاح ٢٢٤ .
تأبرى : من تأبير النخل أى تلقيحه .
حنذ : موضع بالقرب من المدينة - شولى : أى ارتفعى .
الفحول : جمع فحل وهو الذكر من النخل .
- (٢٨) الأغاني ١٢٤/١٣ والخزانة ٣٥٨/٣ .
- (٢٩) الكامل في التاريخ ٦١/٣ ونهاية الأرب ٣٠٢/٣ .
- (٣٠) العقد ٣٠/٣ وفصل المقال ٢٨٢ وجمع الأمثال ٢٤٠/١ .
- (٣١) الأبيات (١ - ٥) في معجم البلدان (زوراء) - (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) في عيون الأخبار ٢٤٠/١ - (٥ ، ١٠ ، ٤) في مجمع الأمثال ٨٣/٢ (٤ ، ١٠ ، ٥) في العقد ٣١/٣ - (١ ، ٢ ، ٤) في الأغاني ١٢٠/١٣ والبيان ٣٦/٢ - (١ ، ٤) في الممتع ٣٤ والبخلاء ١٨٢ ومحاسة البحترى ٣٤٤ ومادة (زور) من اللسان والصحاح والتاج - (٦) في الوساطة ٣٨٧ .
- النشب : المال - الوالى : صاحب الشيء والمتحكم فيه .
الزوراء : أرض لأحيحة . المسامة : المغاخرة .
- (٣٢) الأبيات (١ - ٤) في الأصمعيات ١٢٠ - (١ - ٣) في الممتع .
الأسيف : العيد والأجير - العنق : العرجون بما فيه من الشاربخ .
- (٣٣) جمهرة الأشعار ٥١٧ - الآوتة : الأحيان واحدها أوان .
الصبوح : شراب الصباح وما حلب من اللبن بالغداة .
النشيل : يقال نشل اللحم أى أخذ العضو وتناول ما عليه من لحم بفيه .
الأنماط : فرش منقوشة بالعهن .
اللعي : اللاتى في شفاههن سواد .
- (٣٤) الكامل في التاريخ ٦٨٦/١ .
- (٣٥) الأغاني ١٢١/١٣ .
- (٣٦) الممتع ٣١ .
- (٣٧) الأغاني ١٢٠/١٣ .
- (٣٨) المصدر السابق وأبو كرب : تبع بن حسان ملك اليمن .
- (٣٩) معجم البلدان (زوراء) .
- (٤٠) المصدر السابق تضارع : جبل بنجد .
- (٤١) جمع د. حسن محمد باجودة شعره في ديوان صدر عن دار الطائف الأدبى ومجموع شعره يتجاوز المائة بثلاثة أبيات .
- (٤٢) النجم : الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم ذو عُقَال : يقال داء عُقَال - لا يبرأ منه .
- (٤٣) مقيتا : أى مقتدرا .
- (٤٤) جَنَابى : الجناب - الفناء .
- العطن : في اللسان - أراد نخيله الراسخة في الماء الكثيرة الحمل .

- مُغْضِفٌ : غَضَفَ النخل أى أوردق وأكثر سعفه .
 معروف : أى ذو عُرف .
 أَسْبَلُ : يقال أسبل الزرع - إذا خرجت سبولته .
 جَبَّارُهُ : الجَبَّارُ من النخل ما طال .
 مغدودف : يقال اغدودف الليل أى أرخى سدوله - أى أن النخل أو الشجر قد أسدل أغصانه وفروعه .
 الشوع : شجر البان .
 الغريف : نبت من نبات الجبل وقيل ضرب من الشجر .
 (٤٥) الفوم : البر .
 (٤٦) الأغاني : ١٢٥/١٣ - ريعه : رسمه وأثره - الملاة : الفلاة .
 (٤٧) جمهرة أشعار العرب ٥١٧ .
 (٤٨) تهلل : أى سالت بالدمع .
 الهيرزى : الجديد من الدنانير .
 أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما إلى الشام .
 الوشاة : ضرابوا الدنانير .
 يتأكل : أى يأكل بعضه بعضا من حسنه .
 (٤٩) الفقارة : يريد بها فقارة الحرة التى قتل عليها تبع الأزياد .
 وأهل الفقارة : هم الأزياد وهم : زَيْدُ بن ضُبَيْعَةَ بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، وابن عمه زيد بن أميه ابن زيد ، وابن عمه زيد بن عُبَيْد بن زيد . (الأغاني ١٢٠/١٣)
 الأبرام : جمع برم وهو الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر أو الجبان البخيل .
 الخلفُ : الأشرار .
 (٥٠) الأغاني ١٢٠/١٣ - السردح : الأرض اللينة المستوية .
 (٥١) الأبيات (١ - ٧) فى الكامل فى التاريخ ٦٦٠/١ .
 والثامن فى اللسان والتاج/سيب .
 العباب : حصن بالمدينة - الضحيان : حصن أحبيحة .
 نكبوك : أى نحوك - اللابة : الحرة .
 عصيم : تصغير عاصم وهو عاصم بن عمرو .
 كعب : أخو عاصم بن عمرو - سيابة : قمره .
 (٥٢) جمهرة أشعار العرب ٥١٨ - بنو عمرو : من الأوس
 (٥٣) المصدر السابق .
 الرُمَيْلُ : الرجل الضعيف - يرم = يريد . لا يقلص : لا يرفع
 المشمعل : المرتفع - العوراء : الكلمة القبيحة .
 اللقحة : الناقة التى نتجت - الفصل : ولد الناقة .
 (٥٤) اللسان والتاج/ برم (١)، (٢) (حرم) .
 الحذن : الصاحب .

- الحُرْمَةُ : يقال هو له حُرْمَةٌ من أن يغار عليه .
- (٥٥) جَهْرَةٌ أشعر العرب ٥٢٠ .
- العقول : جمع عقل وهو الحصن .
- المشمخر : الطويل .
- الألف : الدنى .
- (٥٦) العقب : نوب الواردة ترد قطعة فتشرب ، فإذا وردت جاءت قطعة بعدها فشربت فذلك عقبتها ، وهى أيضا الإبل يرعاها الرجل ويسقيها .
- الأقبال : أشد السقى وذلك أن يصب الماء على رؤوسها وهى تشرب ، فكلما شربت ما فى الحوض وجدت غيره .
- (٥٧) المعانى الكبير ٧٨ .
- العناجيج : جمع عُنْجُوج - وهو الرائع من الخيل .
- الدموك : بكرة سريعة الدوران .
- محصر : حبل شديد الفتل .
- الرجام : حجر يشد فى طرف الحبل ثم يدلى فى البئر تخضخض به الحمأة حتى تنور .
- (٥٨) فن الشعر ٥٧ .
- (٥٩) الأغاني ١١٩/١٣ - (١ - ٢) فى الحيوان ٣٦٨/١ .
- (٦٠) الأبيات (١ - ٣) فى البيان والتبيين ٣٦١/٢ والبخلاء ١٨٢ والأغاني ١٤٤/١٣ .
- (١ - ٢) فى لباب الآداب ٣٥٦ وبهجة المجالس ٢١٣/١ .
- الإرية : الدهاء والبصر بالأمور .
- دبر : من الدبرة وهى قرحة تصيب البعير .
- (٦١) الأبيات فى جهرة أشعار العرب ٥١٨ - (٢) فى معجم مقاييس اللغة ٣٦٠/٢ (٣) فى اللسان/ عيل وبهجة المجالس ٥٠١/١ .
- شول : الشول من الإبل التى نقصت ألبانها .
- الحائلة : حالت الناقة أو الفرس . إذا لم تحمل .
- الشعب : الذكر من ولد الناقة .
- (٦٢) البيت فى جهرة أشعار العرب ٢٧ ، ٥١٨ واللسان/ عيل وشجر الدر ٩١ - يعيل : يفتقر .
- (٦٣) بهجة المجالس ٨١/١ ولباب الآداب ٤٨٨ ، ٥٨٤ والبيان والتبيين ٥/١ ، ٢٧٥/٢ .
- الخطل : الكلام الفاسد الكثير المضطرب .
- (٦٤) جهرة أشعار العرب ٥٢١ .
- الناشئة : الحالة الحسنه - الهبول : الشكل .
- (٦٥) مجمع الأمثال ١٦٦/٢ .
- (٦٦) حماسة البحترى ٣٤٥ .

مصادر البحث

- ١ - الاتباع : أبو الطيب اللغوى - تحقيق عزالدين التنوخى ط . دمشق ١٩٦١ .
- ٢ - الأزمنة والأمكنة : أبو على احمد بن محمد الأصفهاني ط حيدرأباد ١٣٣٢هـ .
- ٣ - أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط . دار الكتب المصرية ١٩٢٣
- ٤ - الأستيعاب : لابن عبد البر ط التجارية .
- ٥ - أسد الغابة : عزالدين أبو الحسن على بن أحمد - ابن الأثير ط . الوهبة ١٢٨٧هـ
- ٦ - الأشباه والنظائر: أبو بكر محمد الخالدي وأبو عثمان سعيد الخالدي. تحقيق د. محمد يوسف ١٩٥٨ .
- ٧ - الأشتقاق : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد - تحقيق عبدالسلام هارون ط . الخانجي ١٩٥٨ .
- ٨ - الإصابة : لابن حجر العسقلاني - تحقيق على محمد البجاوى - ط . نهضة مصر .
- ٩ - الأصمعيات : اختيار الأصمعى - تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ط المعارف سنة ١٩٦٧م .
- ١٠ - الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني . ط دار الكتب المصرية .
- ١١ - أنساب الأشراف : أبو الحسن احمد بن يحيى البلاذرى - تحقيق محمد حميد الله ط المعارف ١٩٥٩م .
- ١٢ - الأيضاح : أبو على الفارسي - تحقيق د. حسن فرهود .
- ١٣ - البخلاء : أبو عثمان عمرو بن الجاحظ - تحقيق طه الحاجرى ط المعارف ١٩٨١ .
- ١٤ - بهجة المجالس : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر - تحقيق محمد مرسى الخولى ط دار الكاتب .
- ١٥ - البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن الجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون الخانجي ١٩٧٥ .
- ١٦ - تاج العروس : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي ط الخيرية ١٣٠٧هـ .

- ١٧ - تزيين الأسواق : داود بن عمر الأنطاكي - ط . بولاق ١٢٩١ .
- ١٨ - تفسير الطبرى - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى - تحقيق احمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر ط المعارف ١٩٧١ .
- ١٩ - التبييهات : على بن حمزة - تحقيق عبدالعزيز الميمنى ط دار المعارف ١٩٧٧ .
- ٢٠ - جهرة أشعار العرب : أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى - تحقيق على محمد البجاوى ط نهضة مصر ١٩٨١ .
- ٢١ - جهرة أنساب العرب : أبو محمد على بن سعيد بن حزم - تحقيق ليفى بروفنسال ط المعارف ١٩٤٨
- ٢٢ - جهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد - ط . حيد آباد ١٣٤٥هـ .
- ٢٣ - حاسة البحرى : أبو عبادة الوليد البحرى - نشر كمال مصطفى ط الرحمانية ١٩٢٩ .
- ٢٤ - الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبدالسلام هارون ط الحلبي ١٩٦٩ .
- ٢٥ - خزانة الأدب : عبدالقادر بن عمر البغدادى ط بولاق ١٣٥١هـ .
- ٢٦ - الدر المنثور : جلال الدين السيوطى المطبعة الميمنية مصر ١٣١٤هـ .
- ٢٧ - ديوان أبى تمام : بشرح التبريزى - تحقيق محمد عيسى عزام ط المعارف ١٩٧٢ .
- ٢٨ - الروض الأنف : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهلى - ط الجبالية ١٣٣٢هـ .
- ٢٩ - السيرة النبوية : ابن كثير اسماعيل بن عمر . تحقيق د. مصطفى عبدالواحد ط الحلبي ١٩٦٤م
- ٣٠ - السيرة النبوية : ابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الحلبي ١٩٥٥م .
- ٣١ - شجر الدر : أبو الطيب اللغوى - تحقيق محمد عبد الجواد ط المعارف سنة ١٩٦٨ .
- ٣٢ - الصحاح : أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبدالغفور العطار ط دار الكتاب ١٩٥٦ .
- ٣٣ - طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحى - تحقيق محمود محمد شاكر ط المعارف ١٩٥٢ .
- ٣٤ - العقد الفريد : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه - تحقيق أحمد أمين وآخرين ط ١٩٤٩ .
- ٣٥ - عيون الأخبار : أبو عبدالله بن مسلم بن قتيبة - ط دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٠ .

٣٦ - الفاضل : لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق عبدالعزيز الميمنى - هيئة الكتاب
١٩٧٥ .

٣٧ - فصل المقال : لأبى عبيد البكرى - تحقيق د. احسان عباس ود. عابدين ط بيروت
١٩٧١ .

٣٨ - فن الشعر : د. محمد مندور - المكتبة الثقافية - عدد ١٢ - دار القلم .

٣٩ - الكامل فى التاريخ : لابن الأثير ط دار صادر بيروت ١٩٧٩ .

٤٠ - لباب الآداب : أسامة بن منقذ - تحقيق أحمد محمد شاكر ط الرحمانية ١٩٣٥ .

٤١ - لسان العرب : ابن منظور ط بولاق ١٣٠٣ .

٤٢ - مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد - الميدانى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
ط الحلبي ١٩٧٩ .

٤٣ - محاضرات الأدباء : أبو القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ط
بيروت ١٩٦١ .

٤٤ - المحبر : أبو جعفر محمد بن حبيب - تحقيق د. إيلزة ليختن ط حيدرآباد ١٣٦١هـ .

٤٥ - المعارف : أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق د. ثروت عكاشة ط المعارف
١٩٨١ .

٤٦ - المعانى الكبير : لابن قتيبة ط حيدرآباد ١٩٤٩ .

٤٧ - معجم البلدان : أبو عبدالله ياقوت الحموى - ط السعادة ١٣٢٤هـ .

٤٨ - معجم ما استعجم : أبو عبدالله البكرى - تحقيق مصطفى السقا ط ١٩٥١ .

٤٩ - مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس - تحقيق عبدالسلام هارون ط الحلبي
١٣٧١ .

٥٠ - الممتع فى صنعة الشعر : عبدالكريم النهشلى - تحقيق د. محمد زغلول سلام ط المعارف
١٩٨٠ .

٥١ - نهاية الأرب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويرى ط دار الكتب
١٩٢٩ .

٥٢ - الوساطة : على بن عبدالعزيز المجرجاني - تحقيق محمد أبو الفضل والبجاوى ط الحلبي
١٩٦٦ .